

خطاب صاحب الجلالة بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب

الصخيرات ــ وجه جلالة الملك من المصطاف الملكي خطابا بمناسبة الذكرى الـ 35 لثورة الملك والشعب، هذا نصه :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز :

في مثل هذا اليوم من سنة 1953 أي قبل 35 سنة تفجرت ثورة الملك والشعب، ومنذ ذلك اليوم وأبي رحمة الله عليه وعبد الله الضعيف هذا، نحتفل وإياك كل سنة بهذه الذكرى، وذكرى تكررت أكثر من 35 سنة يصعب على الكاتب أو الخطيب أن يأتي عنها بشيء جديد، أو أن يضفي على ما أضفاه الله سبحانه وتعالى على ثورة الملك والشعب من الأوصاف وما أحاطها به من الهالات، وما رفع به شأنها فوق جميع الأحداث، لذا يصعب على كل من يتكلم كل سنة عن ثورة الملك والشعب أن يأتي بشيء جديد.

وقبل أن أخاطبك فكرت طويلا فوجدت في كتاب الله سبحانه وتعالى ــ وكثيرا ما يجد فيه المؤمن المسلم ما يشفي غليله وما يملأ تفكيره وخياله ــ آية تقول : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ».

لست في حاجة الى تفسير هذه الآية، وقد فسرها ويفسرها عباقرة العلماء والمفسرين، ولكن حاولت أن أستنبط منها قاعدة تاريخية وإجتماعية إذا كانت تنطبق على أمة دون أمة وعلى دولة أكثر من دولة فهي تنطبق على أمتنا ودولتنا بكل تواضع وبكل شكر لله، لأن الله سبحانه وتعالى حينما يقول « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »، فإن المفسر إذا أراد أن يفسر هذه الآية فيمكن أن يرى في تركيبها أن هناك بعض الدول التي تعرف وقفات بين تاريخ وتاريخ وتعرف سكونا سياسيا بين حقبة وحقبة.

(فمنهم من قضى نحبه) والنحب هنا عندي ليس هو الموت بل قضى نحبه قضى ما كلف به فمات بعد ذلك.

« ومنهم من ينتظر » إن هذا اللفظ « ينتظر » أرى أنه لا ينطبق على تاريخنا، إن الله سبحانه وتعالى ميز أجيالنا بعدم الانتظار، وذلك ليضم دائما الى المفاخر جيلا من أجيالنا، فإذا نحن تصفحنا تاريخنا منذ أزيد من 20 قرنا نجد أن الرجل المغربي والمرأة المغربية لم يعرفا في أي وقت من الأوقات مدة تعني التوقف أو الانتظار أو عدم التجنيد، بل أراد الله بنا سبحانه وتعالى أن نبقى شعبا مجندا لا آخذها من إشتقاقها من الجندي أو المحارب، بل حين أقول مجندا فبمعنى أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون الشعب المغربي دائما على أهبة وعلى إستعداد وقد تهيأ فكريا وروحيا ووجدانيا وعقلانيا، ليتلقى الرسالة وليبلغها، ولأن يعطي الرسالة تلك الأمانة الى من سيخلفه، هذه نعمة الله سبحانه وتعالى لا يمكننا أن نوفيه حقه ولن يمكننا أبدا أن نشكره الشكر اللازم والشكر الملازم له لأن نعمة التجند هي نعمة اليقظة، ونعمة اليقظة هي نعمة العمل، (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون).

فلنرجع بعد هذه المقدمة الى عشرين غشت 53 التي عاشها رجال جيلين، جيل ولد في ظل الحرية وعرف الحماية، وقدر الله أن يموت في الحرية، وهو جيل أبي رحمة الله عليه ومن كان يواكبه من صغير وكبير من معروف ومغمور من مقاوم نعرفه ومقاوم نجهله رجلا كان أو امرأة، وقد تمتع بل وتنعم جيلي بهذه الفترة أي فترة 53، فأراد الله أن أولد أنا وجيلي في عهد الحماية، ثم أراد أن نكون مشاركين بقسط متواضع ولكن مشاركين أي جيلي في استرجاع الحرية والاستقلال والكرامة، فعاش جيلي : جيل الحماية وجيل التحرير.

وها هو الله سبحانه وتعالى لا يريد أن ننتظر نحن والأجيال التي ستلحقنا، فأعطانا فرصا ومناسبات عشناها ونحن مهيأون ونحن على حذر، ونحن منتظرون ككل من ينتظر الرسالة أو كل من ينتظر الواجب الذي يقوم به، لقد عشنا مؤمنين مجندين لمسيرتنا الخضراء تلك المسيرة التي سيعدها التاريخ بل لقد بدأ يعدها من جملة أعاجيب الزمان وكراماته، وأرادت قدرة الله سبحانه وتعالى أن يعيش هذه المسيرة الجيل الذي سيخلفنا، وذلك بأن وجدت وسائل الاعلام المرئية والمسموعة، فكل الأطفال من ست سنوات الى فوق الذين سيخلفوننا عاشوا معنا مسيرتنا وتحمسوا لها، وكأنني وأنا راجع بذاكرتي أراهم مهيئين لها فكريا ووجدانيا وعقلانيا، فعاشوها وهضموها وكأنها كانت مسيرتهم، وأراد الله سبحانه وتعالى بعد المسيرة أن يجندنا مرة أخرى ونحن مغاربة ومسلمون بأن يجعل من عملنا عملا واسع النطاق بعيد الآفاق لبناء مغربنا العربي الكبير.

وهذه حظوة نحمد الله سبحانه وتعالى أن جعلنا ننكب ونراقب ونعمل لأن ينمو ذلك المولود المبارك حتى يمكنه أن يكون في كفالة ورعاية لا تعرف السكون ولا السهو، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يكون بجانبنا الجيل الذي سيخلفنا والذي سمع عن 53 وعاش المسيرة أجل أن يكون معنا واعيا فاهما متفهما متجندا مستعدا لتلقي الرسالة هو بدوره، ومستعدا لأن يكون أحسن خلف في بناء المغرب العربي الكبير.

إن المغرب العربي الكبير لا يمكن أن يعرف حقه وقدره إلا من كان على بينة من تاريخ افريقيا الشمالية التي نصبت نفسها كمجموعة بشرية دينها الاسلام ولغتها العربية، ولكن شخصيتها ليست كشخصيات الدول العربية الأخرى، ولدينا مثل يقول : « كل من يأكل الكسكس ويرتدي البرنس فهو من المغرب العربي الكبير » وهذا المثل لسنا نحن الذين خلقناه، بل خلقه التاريخ وخلقه وجود هذه الهوية، هوية مواطن المغرب العربي الكبير.

وحينما نقرأ عن الكتاب والفلاسفة وعلى رأسهم ابن خلدون لا يمكن لأي أحد ولا أي بلد من ليبيا الى موريتانيا أن يقول إن ابن خلدون ليبي أو تونسي أو جزائري أو مغربي أو موريتاني، بل إن ابن خلدون هو ابن المغرب العربي الكبير، والمغرب العربي الكبير هو حلم الغد وضرورة الغد.

لماذا أقول ضرورة الغد، لأنه في الزمن الذي نعيشه وسنعيشه، يمكننا أن نمتع أنفسنا بعدة أشياء، يمكننا أن نكون مترفين في حياتنا، وأن نسمح لأنفسنا بالتمتع بالنعم التي من الله سبحانه وتعالى بها علينا، ويمكننا كذلك أن نتخيل أننا وقعنا في أغلاط كيفما كانت، ولكن الغلطة الوحيدة التي من شأنها أن تكون كارثة على الجميع هي أن نقع في خطر التفرقة وخطر مواجهة بعضنا البعض.

فإذا كان التاريخ القديم وغير البعيد يعطينا دائما دروسا ويعطي للعالم دروسا حتى يكون السلم هو مبدأ كل دولة دولة، فما عايشناه في السنين الأخيرة من حروب حولنا في القارة الآسيوية وغيرها لقننا جميعا درسا هو أنه لا يمكن أبدا في المستقبل أن نتلاعب بالسلم، ولا يمكننا أبدا أن نعتبر الحرب المباشرة وغير المباشرة كلعبة يمكننا أن نتمتع أو نزهى برؤيتها.

إن المغرب العربي الكبير سيكون إن شاء الله هو الرادع لكل شيطان رجيم، وسيكون هو الحصن الحصين في مواجهة كل من سولت له نفسه أن يتلاعب بعهود الآباء والأجداد، وسيكون منطلقا مباركا فياضا تنطلق منه عبقرية المغرب العربي الكبير التي هي عبقرية في آن واحد موحدة متجددة ومختلفة، وسيكون من واجباتنا نحن أن نجنبهم مخاطر السير، وأن ندفعهم الى الأمام بثقتنا في تجربتنا.

إن المغرب العربي الكبير لا يمكن أن يعرف التشكك، وبناء المغرب العربي الكبير لا يمكن أن يعرف التخاذل، وبناء المغرب العربي الكبير يجب أن يكون مبنيا على تقوى من الله ورضوان، والمغرب العربي الكبير يجب أن يكون حلقة من حلقات تلك المواعظ التي كما قلت سابقا، أراد الله سبحانه وتعالى أن يضربها للشعب المغربي على الخصوص مع التاريخ حتى يبقى المغربي — وإخوانه في المغرب العربي الكبير — دائما متأهبا ومؤهلا ومجندا لا يعرف التوقف ولا الكلل ولا الوهن ولا الملل.

إن ذكرى 20 غشت 53، هي ذكرى كما قلت، يمكن أن يكتب عنها الكاتب وأن يقول عنها القائل، ولكن المؤرخ لا يمكنه أن يقنع ولو بآلاف الصفحات، لأن سنة 53 وما تبعها وسيتبع ما تبعها هي منعطف لا لقارتنا فقط، ولكنها أيضا منعطف للمستضعفين الذين أراهم الله سبحانه وتعالى أن الضعيف هو العبد، والقوي هو الله، أما أن يكون هذا الشعب مستضعفا بالنسبة لآخر فتلك الأيام نداولها بين الناس، وتداول الأيام هنا فيه ما يعلو وفيه ما ينحدر.

لنتخذ إذن من عبرة سنة 53 مفتاحا لحاضرنا ومستقبلنا، ولنتخذ من الآية الكريمة التي قرأتها في مستهل خطابي « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » الآية، فلنتخذ من معنى الانتظار هنا معنى التجنيد المستمر والتأهب الدائم، والاستعداد الفكري والوجداني لخوض جميع الملاحم، وليس من اللازم أن تكون الملاحم دائما دامية، فهناك ملاحم تكتب بماء الورد وماء الزهر، وعلينا أن نكون دائما مؤهلين ومجندين حتى لا نبقى على هامش التاريخ وحتى يبقى مغربنا هذا ومغربنا الكبير كبصمة ناطقة على ما كان عليه أجدادنا وأسلافنا الأكرمون.

رحم الله أبانا جميعا وسيدنا مولانا محمد الخامس، وجعله في أعلى عليين هو ومن استشهد معه ومن لقي حتفه لتكون سنة 53 منطلقا للعيش والعز لا منطلقا للذل والموت، فرحم الله شهداءنا الأبرار الذين وجدوا على أهبة، لأنه بكل صراحة منذ أن قيض الله لي أن آخذ الأمانة من أبي رضوان الله عليه لم يكن أبي ولا أنا نفكر أننا سنخوض يوما ما حربا ضروسا، وقد خضناها وعرفنا خلالها ما يعرفه كل مقاتل ومحارب من كر وفر وإقدام وتراجع، ولكن الشيء الغريب أنه حينما أرادت الأقدار أن نخوضها وجدنا أن نعمة الله سبحانه وتعالى كانت لنا وحولنا ووجدنا أنفسنا منتظرين، ووجدنا أنفسنا متأهبين، ووجدنا أنفسنا متمرنين حتى على أحدث الأسلحة وأخطرها، لذلك «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر» الآية. لا انتظار تحت الشمس حتى يقبض الله روحه، كلا. ولكن إنتظار الضوء الأخضر لينطلق لعمل ما في ميدان ما، وحتى عندما أراد الله لنا هذا الامتحان الصعب وجدنا — ولله الحمد — متأهبين ومؤهلين له.

ولكن كيف كانت أهبتنا وتجندنا، فلا يمكن أن يكون تجندنا وأهبتنا إلا للبناء وللاخاء ولمحو الماضي، ولطي الماضي على ما فيه من مرارة، ولفتح صفحة في مستوى عبقرية شعوبنا.

علينا ألا ننسى أن الإسلام معنى كلمة الله سبحانه، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حينما اخترق أراضي افريقيا الشمالية لم يكن يعلم أن هناك من وراء البحر عالما آخر، ولكن رأى أن الشاطىء الأطلسي بعيد جدا



عن الخليج، ومع ذلك فآباؤنا وأجدادنا وأسلافنا سواء الذين أتوا من الشرق أو الذين كانوا قاطنين بالمغرب تقبلوا وقابلوا وقبلوا الرسالة، رسالة الله سبحانه وتعالى، رسالة العمران والسلام والتآخي والعمل لما فيه خير العباد والبلاد.

ألهمنا يا الله جميعا لنبقى دائما مؤهلين ومجندين، وألهمنا الى ما يقوي شكيمتنا وما به يوطد عزمنا لبناء هذا المغرب العربي الكبير متناسين ما مضى ومعانقين ما سيأتي، إنه سبحانه وتعالى لا يخيب الراجي ولا يرد الداعي، إنه سبحانه وتعالى الكريم المعطاء، وهو الرحمن الرحيم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

السبت 6 محرم 1409 — 20 غشت 1988